القسم الثاني

قِصّةُ خَلْق الإنسان
من النطفة إلى الميلاد

* الفصل الأول ـ النطفة
* الفصل الثاني ـ وقد خلقكم أطواراً
* الفصل الثالث ـ في قرار مكين
* الفصل الرابع ـ إلى قدر معلوم
* الفصل الخامس ـ ثم نخرجكم طفلاً
* الفصل السادس ـ والوالدات يرضعن أولادهن

الفصل الأول

النطفة

* من بين الصلب والترائب
* نطفة الرجل (الحيوان المنوي)
* نطفة المرأة (البويضة)
* اللقاء المنشود . . النطفة الأمشاج
* فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى
* في الطريق إلى الرحم

من بين الصلب والترائب

﴿سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِم حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ﴾ [فصلت : ٥٣] .

يقول العلماء :

ـ إن الغدة الجنسية في الإنسان (خصية الرجل ومبيض المرأة) تنشأ في الحياة الجنينية أسفل الظهر ، بجانب الكلية ، قريباً من الفقرة القطنية الخامسة ، ثم تهبط في الأسابيع الأخيرة من الحمل إلى مستقرها الأخير ، فتنزل الخصيتان في الذكر إلى الصفن ويهبط المبيضان في الأنثى إلى تجويف الحوض . وتظل الخصية والمبيض يستمدان التغذية من منطقة المنشأ . . من شريان يتفرع من الشريان الأورطي البطني ، ويظلان يستمدان الضَبْطَ

العصبي من أعصاب تأخذ موضعها في ا لجسم أيضاً في منطقة المنشأ ، أي من منطقة تقع فيما بين الصلب (العمود الفقري) والترائب (الأضلاع) .

أرأيت إلى الآيات الكريمة ٥ ـ ٧ من سورة الطارق ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾؟!

أنّى لمحمد بن عبد الله ، وأنّى للبشر كافة ، قبل أربعة عشر قرناً ، معرفة علم الأجنة ، حتى تُكشَف له هذه الحقيقة العلمية الراسخة؟!

بل هي كلمات ، تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم عمن خلق الخلق فأبدع!

وهل في وسع المتأمل في الآية الكريمة ١٧٢ من سورة الأعراف ﴿وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشْهَدَهُم على أنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلى شَهِدْنا﴾ ، إلاّ أن يهتف بخشوع : سبحان الله؟!

بلى!

كل نفس شهدت بربوبية خالقها ، وأنّى لها ، يوم القيامة ، وهي تُسأَلُ عن تلك الشهادة ، أن تعتذر بغفلة أو نسيان؟!

نطفة الرجل (الحيوان المنوي)

أفانين من عجائب القدرة الإلهية ، يبصرها المتأمل في خلق نطفة الرجل (الحيوان المنوي) في الخصية ، ثم في رحلتها العجيبة ، حتى تلتقي بنطفة المرأة (البويضة)!

هل يظنون أن هبوط الخصية إلى الصفن ، كان عبثاً وخبط عشواء ، بدون غاية تراد؟!

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران : ١٩١] . إن هي إلاّ قدرة حكيمة امتدت إلى الخصية لتحمي النطاف من التلف بحرارة الجسم التي تبلغ ٣٧ درجة مئوية ، فأنزلتها إلى الصفن خارج الجسم ، حيث الحرارة لا تجاوز ٣٥ درجة مئوية ، فلا تُسْلَب النطافُ الحياةَ ولا تعاق ثمة عن النمو ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان : ٢] .

فيم جُعلت الخصية ، وهي الصغيرة التي لا يجاوز وزنها ٢٥ غراماً فحسب ، مقسمةً إلى فصوص عديدة قد تصل المئتين؟!

لعل القدرة الإلهية شاءت أن تكون الخصية كذلك ، حتى إذا أدركت بعضَ الفصوص علّةٌ فأخفقتْ في صنع النطاف ، كان فيما بقي من الفصوص عِوض ، فلا تعجز الخصية عن صنع النطاف ، ولا تنقرض البشرية وتفنى!

وكيف تعجز الخصية عن صنع النطاف ، وقد سوّاها الله ، فكانت ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ [النمل : ٨٨]؟!

● أنابيب الخصية

في كل فصّ من فصوص الخصية ، تنتشر بضعة أنابيب متعرجة طول كل منها نصف متر ، حتى تغدو الخصية كأنها شبكة من نحو ألف أنبوب ، تُصنع فيها النطاف ، ثم تصب في قنوات منوية ، تبتدىء بقناة البربخ المتعرجة جداً التي يبلغ طولها ٥ أمتار تقريباً ، فالحبل المنوي ، ثم تنتهي بحويصلة تنطلق منها النطاف ، في المناسبة الجنسية ، عبر إحليل الرجل ، بعملية قذف تتم بتقلصات في جدران القنوات والحويصلة المنوية وفي عضلات العجان .

أهي الصدفة أبدعت جدران تلك القنوات المنوية ، أم هو الله ﴿الَّذي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه : ٥٠] ، بطّنها بخلايا تزود النطاف بالغذاء ، ثم جعل في القنوات أهداباً متحركة تدفع النطاف في طريقها إلى الهدف المنشود ، سابحةً في سائل منوي يحملها ويغذيها يفرزه البربخ والحويصلة المنوية وغدة البروستاتا وغدد كوبر الصغيرة حول مجرى البول؟!

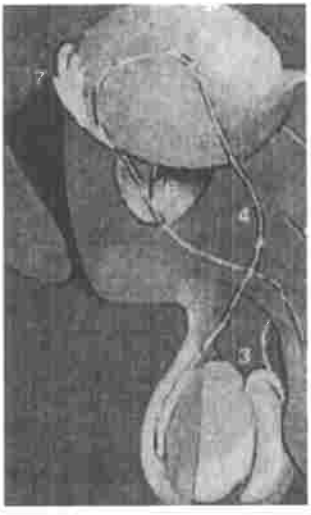

١ـ الإحليل

٢ـ الخصيتان

٣ـ البربخ

٤ـ القناة الناقلة

٥ـ المثانة

٦ـ البروستات

٧ـ الحويصلة المنوية

● الجهاز التناسلي في الرجل

﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِيْنٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ قَليلاً مَا تَشْكُرُون﴾ [السجدة : ٧ ـ ٩] .

﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُون﴾ [الواقعة : ٥٨ ـ ٥٩] .

* * *

يقول العلماء :

ـ منذ سن بلوغ الفتى ، تبدأ هورمونات الفصّ الأمامي من الغدة النخامية في المخ تحضّ الخصية على إنتاج النطاف وإنضاجها حتى تغدو جاهزة لإخصاب البويضة خلال ستة أسابيع ، وتمضي الخصية في ذلك حتى الشيخوخة الذاوية . والنطفة الناضجة خلية واحدة ضئيلة طولها حوالي ٧٠ ميكروناً (الميكرون يساوي جزءاً من الألف من المليمتر) ، وتتكون من رأس يشبه الكمثرى ومن عنق وجسم صغيرين ومن ذيل يصل طوله إلى ٥٠ ميكروناً .

كيف لا تبهرهم روعة الإبداع الإلهي في خلق النطفة الناضجة ، إذ تنقسم في نواتها الكروموسوماتُ ٠٠ سجل الصفات الوراثية في الإنسان انقساماً يختزل عددَها إلى النصف ، فتغدو ٢٣ كروموسوماً بعد أن كانت ٢٣ زوجاً ، حتى إذا التحمت النطفة فيما بعد مع البويضة الناضجة التي اختُزلت فيها الكروموسومات أيضاً إلى النصف ، عادت الكروموسومات فأصبحت في البويضة الملقحة ٢٣ زوجاً ، وتلقّى الجنين بذلك صفاته الوراثية من

الأم ومن الأب معاً!

فتبارك الله أحسن الخالقين!

* * *

أفلا يسألون أنفسهم فيم هذا العدد الهائل من النطاف (٤٠٠ مليون تقريباً) في الدفقة الواحدة من المنيّ (النطاف + السائل المنوي) التي تبلغ ٣,٥ من المليلترات تقريباً ، ما دامت نطفةٌ واحدة هي التي ستعانق البويضة وتخصبها؟!

وأنّى لهذه النطاف أن تصل إلى البويضة ، عبر طريق محفوفة بالمهالك في إحليل الرجل ثم في مهبل المرأة ، حيث تنتشر الأحماض القاتلة للنطاف ، لولا عظمة يد القدرة الإلهية التي جعلت النطاف مئات الملايين ، ثم جعلت السائل المنوي قلوياً ، يتفاعل مع الأحماض في إحليل الرجل وفي مهبل المرأة ، فيبطل أذاها ساعة عبور النطاف ، ويهيىء لبضع مئات من النطاف سلامة الوصول إلى البويضة ، ويمنحها القدرة على الإخصاب يوماً أو يومين ، بينما يخرّ معظم النطاف لحتفه على الطريق ، قبل الوصول

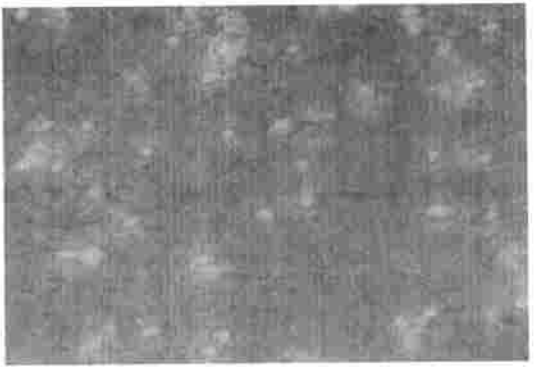

● ملايين النطاف منطلقة صوب البويضة

إلى البويضة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان : ٢]؟!

ولقد يغشى المتأملَ الذهولُ حين يعلم أن الجسم الفتيّ يُخلَقُ فيه نحو مئة مليون نطفة في كل يوم وليلة ، أي بمعدل ألف نطفة في كل ثانية من الزمن . حتى إذا أفاق المتأمل من ذهوله راح يهتف : سبحان الله!

* * *

أهي الصدفة جعلت ما وجد العلماء خلف رأس النطفة من حزمة حبيباتٍ خيطية ، أم هو الله ﴿الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى : ٢ ـ ٣] أودعها هذه

المادة ، لتمنح الذيل طاقة عظيمة للحركة ، فيدفع النطفة في طريقها إلى البويضة ، بسرعة يصل أقصاها إلى $\frac{1}{3}$ متر في الساعة؟!

وهل من يد غير يد القدرة الإلهية الحكيمة ، جعلت في مقدمة رأس النطفة أنزيماً يذيب السدادة المخاطية التي تسدّ عنق الرحم أحياناً ، لتُفتَح الطريق أمام النطاف للعبور إلى الرحم ، حتى إذا قدمت على البويضة ، أذاب هذا الانزيم المواد التي تربط بين الخلايا المحيطة بالبويضة ، وهيأ السبيل للنطفة لاختراق البويضة وللقاء المنشود؟!

ثم هم يقولون صدفة!

ولو أنصفوا ، لأبصروا عجائب القدرة والحكمة تتجلى بين أيديهم ، أينما التمسوها في أنفسهم ، تستوقفهم ، وتدعوهم إلى هدى ربهم!

نطفة المرأة (البويضة)

أفانين من عجائب القدرة الإلهية ، تستوقف المتأمل مذهولاً في خلق نطفة المرأة (البويضة) في المبيض ، ثم في رحلتها العجيبة ، بعد ذلك ، حتى تلتقي بنطفة الرجل (الحيوان المنوي)!

يقول العلماء :

ـ إن الطفلة تولد ، وفي مبيضيها حوالي ٤٠٠ ألف حويصلة ، تحتوي كل حويصلة منها على بويضة واحدة تحاط بصف من خلايا ذات مهمة غذائية ينتشر فيما بينها سائل . لكن ما ينضج من هذه البويضات ، خلال فترة الإنجاب عند المرأة من سنّ البلوغ إلى سنّ اليأس ، حوالي ٤٠٠ بويضة فقط ، والبقية تذوي وتتلف! فحين تصبح

الطفلة شابة ، تبدأ هورمونات الفصّ الأمامي من الغدة النخامية في المخ تحضّ المبيضين على إنضاج البويضات ، فتكبر الحويصلة وتتطور حتى تنضج وتغدو ما أطلق عليه العلماء اسم (حويصلة غراف) . ويقدّم أحد المبيضين ، في كل شهر ، بويضة واحدة ناضجة جاهزة للإخصاب ، تنطلق من المبيض في اليوم الرابع عشر من بداية الطمث عند المرأة تقريباً ، ثم تمضي في رحلتها العجيبة حتى تلتقي بنطفة الرجل (الحيوان المنوي) .

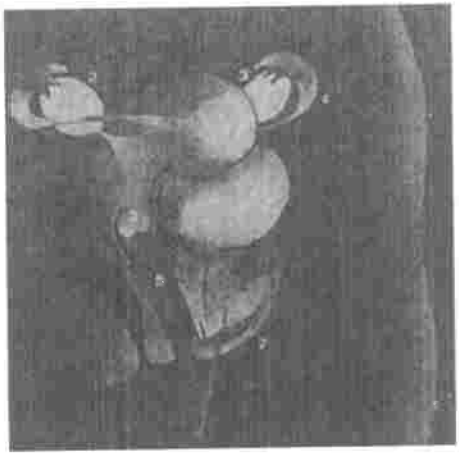

● الجهاز التناسلي في المرأة

١ ـ الرحم ٢ ـ عنق الرحم ٣ ـ المبيض ٤ ـ قناة الرحم ٥ ـ المهبل ٦ ـ المثانة

كيف لا تبهرهم عظمة يد القدرة الإلهية ، في خلق البويضة ، وهي تهيىء نفسها للنضج ، فتنقسم في نواتها الكروموسوماتُ التي تحمل الصفات الوراثية ، ويُختزَلُ عددُها إلى النصف ، فتغدو ٢٣ كروموسوماً بعد أن كانت ٢٣ زوجاً ، تماماً كما حدث في الحيوان المنوي ، حتى إذا التحم الحيوان المنوي مع البويضة ، فيما بعد ، عادت الكروموسومات فأصبحت في البويضة المخصبة ٢٣ زوجاً ، وبذلك يتلقى الجنين صفاته الوراثية من الأم ومن الأب معاً؟!

أهي الصدفة ، بدون هدف يبتغى ولا غاية تراد ، جعلت البويضة الناضجة أكبر خلية في جسم الإنسان يصل قطرها ١٥٠ ميكروناً ، أم هو الله ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثمَّ هَدَى﴾ [طه : ٥٠]، أودعها من الغذاء ما يكفي البويضة الملقحة ، حتى تبلغ الرحم وتعلق في جداره وتنال منه الغذاء والنماء ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان : ٢]؟!

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف : ١٠٥] .

اللقاء المنشود.. النطفة الأمشاج

كيف لا تدهشهم روعة الإبداع ، فيما هيأت يد القدرة الإلهية للقاء المنشود بين البويضة الناضجة وبين الحيوان المنوي ، إذ تقترب (حويصلة غراف) من سطح المبيض تدريجياً ثم تنفجر في لحظة من اللحظات ، ممزقةً غلاف المبيض ، فإذا بسائل الحويصلة يتدفق ، وإذا البويضة تطلّ مدفوعة بالسائل ، محاطة بتاج شعاعي من الخلايا ، تتهادى كأحلى عروس فاتنة يوم الزفاف ، فيتلقفها بوق قناة الرحم (قناة فالوب) ، وتمضي فيه إلى الثلث الأخير بالضبط من جهة المبيض ، وتنتظر ثمة قدومَ نطفة الرجل (الحيوان المنوي)!

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ .

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق : ٥ ـ ٧] .

أي عجبٍ ذلك الذي نراه حين تنفجر (حويصلة غراف) ، فتطلق البويضة الناضجة ، ويندلق ما كان فيها من سائل و(هورمون فوليكولين) في تجويف البطن ، ليسري الهورمون في الدم ، ويثير في نفس المرأة الرغبة الجنسية ، طلباً للنطفة والإخصاب؟!

صور لا تنتهي من الإبداع والحكمة ، ما تنفك تدعو الإنسان إلى هدى ربه!

● البويضة لحظة إطلالتها من المبيض

ففيم يشيح الإنسان بوجهه ، عن هدى ربه ، وينأى؟!

فـإذا لم يُقـدَّر للبـويضـة أن تُخْـصَبَ ، فـإنهـا تتلف بسرعة ، خلال يوم واحد ، ويعقب ذلك سقوطُ غشاء بطانة الرحم وحدوثُ الطمث .

بيد أن البويضة إذا قُدِّر لها أن تُخصَبَ ، فإن عشرات الحيوانات المنوية تبدو في (قناة الرحم) متوجهة صوبها ، تتسابق للفوز بالعروس ، ثم تتحلق حولها وتحاول اختراق الجدار والعبور إلى داخلها!

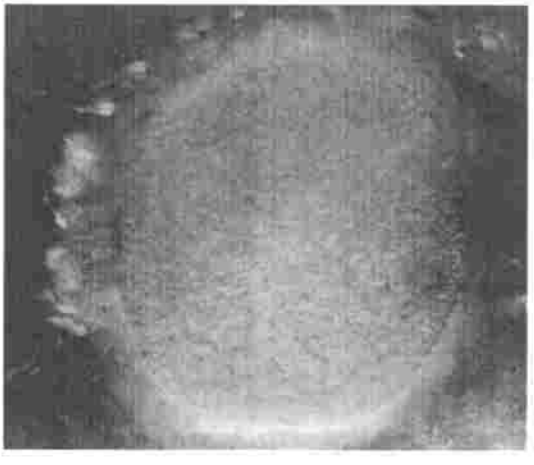

● الحيوانات المنوية تتحلق حول البويضة

وإذا كُوّة تظهر في جدار البويضة ، تجتاز منها نطفةٌ واحدة . . حيوان منوي واحد ، إلى داخل البويضة ، ثم سرعان ما تغلق الكُوّة ، وتفرز البويضة على جدارها مادة تمنع بقية الحيوانات المنوية من العبور .

ثم تلتحم نواتا الحيوان المنوي والبويضة ، فيغدو عدد الكروموسومات في البويضة الملقحة ٢٣ زوجاً ، وبذلك يتلقى الجنين صفاته الوراثية من الأم ومن الأب معاً!

ومنذ تلك اللحظة ، يتحدد جنس الجنين . . ذكراً أم أنثى . إلا أن الأعضاء التناسلية الظاهرة حين تُخْلَق يصعب التفريق فيما بينها فيعرف الذكر من الأنثى ، حتى يُتمّ الجنين الشهر الثالث من العمر .

أرأيت إلى الآية الكريمة ٢ من سورة الإنسان ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾؟!

أنّى لمحمد بن عبد الله ، قبل أربعة عشر قرناً ، معرفة علم الأجنة حتى تكشف له هذه الحقيقة العلمية الراسخة بأن الجنين يخلق من نطفة أمشاج ، أي أخلاط من نطفة

● البويضة الملقحة . . النطفة الأمشاج

الرجل ونطفة المرأة معاً؟!

بل هي كلمات تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم عمن خلق الخلق فأبدع!

وكيف لا تبهرهم عظمة يد القدرة الإلهية ، وهم يبصرون بين أيديهم النطفة الأمشاج (البويضة الملقحة) . . هذه النقطة الضئيلة التي لا يزيد قطرها عن ربع مليمتر ثم تكمن فيها جميع خصائص الإنسان الجسدية والعصبية والعقلية والنفسية؟!

﴿هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

كيف لا يهديهم إلى صراط الله، وآياتُ الله تتجلى بين أيديهم، فتقودهم إليه؟!

* * *

أحصى العلماء، في جسم الإنسان، آلاف المليارات من الخلايا. وحين درس العلماء الخلية، تبيّن لهم أن سرّ الحياة يكمن في نواة الخلية في مادة عجيبة سموها (الكروموسومات) تتكون من شريط لولبي مزدوج سموه (الحمض النووي DNA ـ الجينات).

ولسوف تطبق عليك الدهشة، حين تتجلى لك

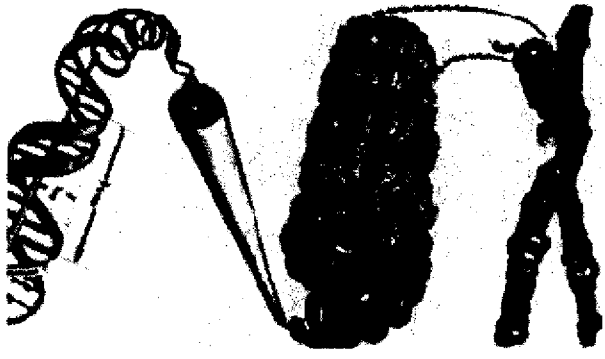

● الجينات

عظمة الخلق وروعة الإبداع في هذا (الحمض النووي **DNA** ـ الجينات) ، ثم تعلم أنه موجود في كل خلية في جسم الإنسان ، وأنه قد سُجّلتْ عليه كل أسرار الخلية والوراثة في الإنسان من السلف إلى الخلف ، وأُنيط به إنتاج بروتينات الجسم البشري وتنظيم جميع نشاط الخلية!

وإنك ما تكاد تفيق من دهشتك حتى يأخذك الذهول من جديد ، حين تعلم أن هذه الكروموسومات ، التي تحمل كل أسرار الخلية والوراثة والتي اختزلت فيها كل أسرار الإنسان ، تقاس بالميكرون (الميكرون جزء من ألف جزء من المليمتر) فحسب!

ثم تفيق من ذهولك ، وأنت تناجي نفسك بخشوع : سبحان الله!

وجد العلماء أن في كل خلية في جسم الإنسان ٢٢ زوجاً من الكروموسومات تختص ببناء هيكل الجسم ووظائفه الحيوية ، وزوجاً واحداً من الكروموسومات يختص بتعيين الجنس . . ذكراً أو أنثى .

وحين درس العلماء زوج الكروموسومات الجنسية ، وجدوه في الذكر مختلفاً ، فرمزوا له بالحرفين XY وفي الأنثى متشابهاً ، فرمزوا له بالحرفين XX .

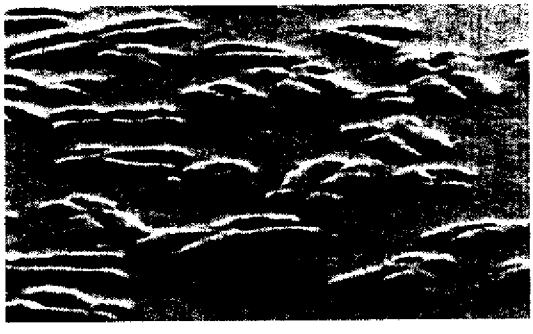

● الكروموسومات

ثم درس العلماء نطفة الرجل ، فتبيّن لهم منها صنفان :

● صنف يحتوي على ٢٢ كروموسوماً جسمياً + كروموسوم واحد جنسي من صنف X .

● وصنف يحتوي على ٢٢ كروموسوماً جسمياً + كروموسوم واحد جنسي من صنف Y .

بينما وجدوا بويضة المرأة تحتوي دائماً على :

● ٢٢ كروموسوماً جسمياً + كروموسوم واحد جنسي من صنف X .

تأمل ما يتم عند الإخصاب بين نطفة الرجل وبويضة المرأة ، وكيف أن نطفة الرجل وحدها هي التي تحدد جنس الجنين :

نطفة (Y) + بويضة (X) = XY الجنين ذكر

نطفة (X) + بويضة (X) = XX الجنين أنثى

أرأيت إلى الآيتين الكريمتين [٤٥ ـ ٤٦] من سورة النجم ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى . مِنْ نُطْفَةٍ إذا

تُمنَى﴾ ، وإلى الآيات الكريمة [٣٦ ـ ٣٩] من سورة القيامة ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾؟! . . «أي من المنيّ» .

فأنى لمحمد بن عبد الله ، قبل أربعة عشر قرناً معرفة علم الوراثة وعلم الأجنة ، حتى تُكشَف له هذه الحقيقة العلمية الراسخة؟!

ثم هم يطلبون الدليل!

فأي دليل يطلبون ، بعد هذا الدليل؟!

وأنّى لهم أن ينقذوا أنفسهم من الحيرة التي تفترس وجدانهم ، ما لم يؤمنوا بأن هذا القرآن ما هو إلاّ كلمات تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم عمن خلق الخلق فأبدع؟!

في الطريق إلى الرحم

ها هي البويضة ، عقب التلقيح في بوق (قناة الرحم) ، تنتظر ما ستصنع بها يد القدرة الإلهية!

أفلا ينظرون كيف يُسِّرَت السبيلُ ، لهذه البويضة الملقحة . . النطفة الأمشاج ، للوصول من بوق (قناة الرحم) إلى الرحم؟!

هل كانت صدفة تلك الأهداب المبثوثة في غشاء (قناة الرحم) ، وهي تدأب على الحركة في اتجاه الرحم ، فتدفع ذلك السائل الذي جُعل في القناة مطيّةً وديعةً للبويضة الملقحة ، دفعاً رفيقاً ، لا عنف فيه؟!

وهل كانت خبط عشواء ، تلك التقلصات في عضلات (قناة الرحم) ، بين حين وحين ، لتدفع البويضة

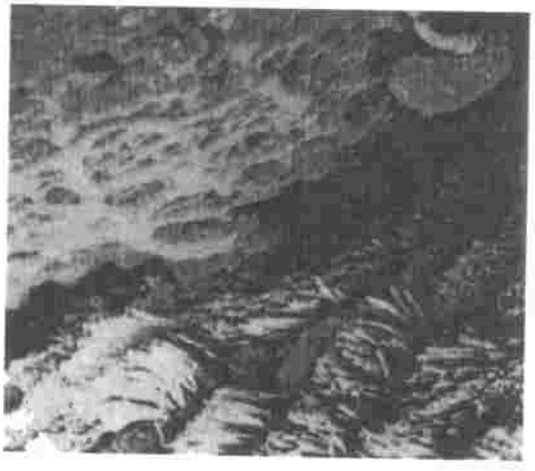

● البويضة في رحلتها على أهداب قناة الرحم

صوب الرحم ، دفعاً لطيفاً ، لا عجلة فيه؟!

فإذا البويضة تُمضي في رحلتها ، من البوق إلى الرحم ، بضعة أيام (طول قناة الرحم حوالي ١٥ سنتيمتراً) .

وإذا هي خلال هذه الفترة تنقسم على هيئةِ متواليةٍ هندسيةٍ إلى خليتين فأربع فثمان فَـ . . . حتى تغدو البويضة الملقحة كتلة مستديرة من الخلايا على هيئة ثمرة التوت ، فتدعى عندئذ (التوتة ـ **Morulla**) .

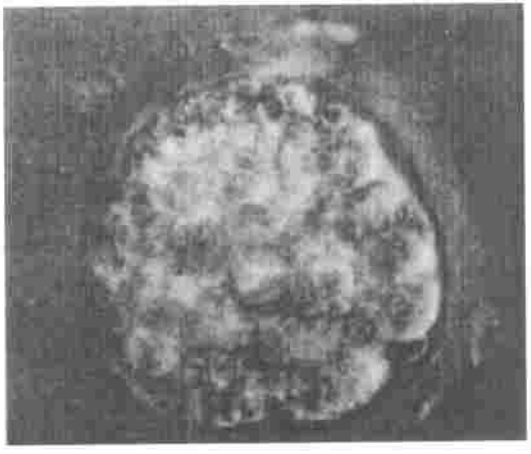

● التوتة

انقسامات عديدة ، تزيد في عدد الخلايا ، ولا تزيد في حجم البويضة الملقحة شيئاً!

﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : ٤٩] .

فأنّى لهذه البويضة الملقحة . . النطفة الأمشاج ، لو زادت في الحجم ، أن تتمكن من العبور خلال (قناة الرحم) ، وأنّى لها أن تصل إلى الرحم؟!

يلتمسون الحكمة ، بين ثنايا الخلق ، فتخفى عليهم!

فيقولون صدفة!

فإذا الحكمة تطلّ عليهم ، بهتاف يروعهم : ها أنذا ، أفلا ترونني؟!

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَنَّ وَمَا تَهْوى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدى﴾ [النجم : ٢٣] .

الفصل الثاني

وقد خلقكم أطواراً

* ثم خلقنا النطفة علقة
* فخلقنا العلقة مضغة
* ثم أنشأناه خلقاً آخر
* في ظلمات ثلاث
* نحن نرزقهم

ثمّ خلقنا النطفة علقة

تَقْدُمُ (التوتة ـ **Morulla**) على الرحم

وما يلبث جوفها أن يمتلىء بسائل ، فتغدو عندئذ ما أطلق عليه العلماء اسم (الكرة الجرثومية ـ **Blastula**) .

وها هي ذي الكرة الجرثومية تنتظر في الرحم ما ستصنع بها يد القدرة الإلهية!

تأمل تلك الأفانين من عجائب الإبداع الإلهي ، إذ تُمضي (الكرة الجرثومية ـ **Blastula**) داخل الرحم بضعة أيام ، تتحسس لنفسها مكاناً في بطانة الرحم تستقر فيه ، غالباً ما يكون الجدار الخلفي في النصف العلوي للرحم ، ثم تنزع عن نفسها جدارها الشفاف ، مطلقة خمائر أودعتها يد القدرة الإلهية لهذه اللحظات ، تدمر وتذيب في موضع

الملامسة غشاء بطانة الرحم ، وتمتص ذوب تلك الخلايا وما فيه من غذاء ، وتُنشِب في جدار الرحم زغابات تمدها من خلاياها السطحية تساعدها على العلوق في جدار الرحم ، فإذا هي تنغرز فيه وتعلق .

وإذا المتأمل في لفظ العلقة في معاجم اللغة يجد أن لفظ العلقة يُطلَق على كل ما ينشب ويعلق ، تماماً كما تفعل العلقة في جدار الرحم!

وإذا العلقة تمدّ زغابات أخرى من خلاياها السطحية

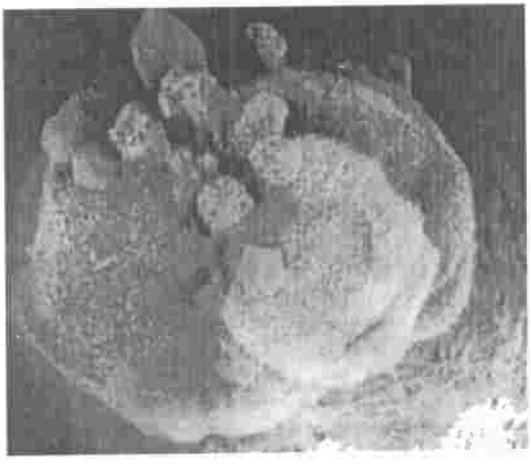

● العلقة

التي أطلق العلماء عليها اسم (الخلايا المغذية ـ Tropho-blast) تمضي في جدار الرحم طلباً للغذاء ، حتى تصل إلى الأوعية الدموية ، فتفتحها ، فإذا بِرَكٌ تمتلىء بدم الأم تنشأ حول تلك الزغابات ، وإذا العلقة تحاط بالدم من كل جانب ، حتى تبدو للعين المجردة كأنها كتلة من الدم المتخثر ، مما حدا بعلماء تفسير القرآن أن يفسروا العلقة بالدم الغليظ المتجمد ، كما بدت لأعينهم . وإذا تلك الزغابات تنمو حتى تغدو خملات ذات شعيرات دموية تسبح في تلك البرك . وإذا هي المشيمة تنشأ ، ومعلاق يتعلق فيه الجنين يتحول فيما بعد إلى حبل سُرّي يستمد الجنين عبره الغذاء والأكسجين ومواد المناعة ضد الأمراض ويطرد عبره الفضلات الضارة والمخلفات الزائدة .

أنّى لهم أن يجحدوا بأن صفة العلوق هي أبرز ما يميز هذا الطور من أطوار خلق الإنسان؟!

وأنّى لهم أن يغاثوا من حيرة تنهش وجدانهم ، ما لم يؤمنوا بأن هذا القرآن ما هو إلا كلمات تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم عمن خلق الخلق فأبدع؟!

إذ أنّى لمحمد بن عبد الله ، وأنّى للبشرية كافة ، معرفة حقيقة العلوق في خلق الإنسان ، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان؟!

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج : ٥] .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون : ١٢ ـ ١٤] .

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [القيامة : ٣٦ - ٣٨] .

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق : ١ ـ ٢] .

يقول العلماء :

ما تلبث (الكرة الجرثومية) ، في اليوم الثالث بعد العلوق ، أن تنفذ بأكملها تقريباً داخل جدار الرحم وتطمر نفسها فيه وتغدو محاطة ببرك من الدم من كل جانب ، وسرعان ما تُقْفَل الفتحة التي نفذت منها الكرة الجرثومية بجلطة دموية ثم بخلايا طلائية من غشاء الرحم .

هل في وسع المتأمل في الآية الكريمة ٨ من سورة الرعد ﴿**اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ**﴾ إلا أن يهتف بدهشة وخشوع : سبحان الله؟!

* * *

بأية معرفة مركوزة فيها تمتنع الغدة النخامية في المخ عن إفراز الهورمونات التي تحضّ المبيض على إنضاج بويضات جديدة ، حتى لا يتم حمل فوق حمل ، وحتى يمتنع الطمث خشية أن يجرف الطمث العلقة ويودي بالحمل؟!

كيف لا يدهشهم هذا التكامل العجيب الذي يجدونه في خلق الإنسان أينما التمسوه؟!

وأنى لهم أن يدركوا الغاية من هذا التكامل ، وهم ينظرون إلى الإنسان وإلى نواميس الحياة جزيئاتٍ مبعثرةً ونتفاً بلا رباط؟!

يقول العلماء :

إن الجسم البشري ، كلما اقتحمه جسم غريب كالجراثيم وسواها ، يستنفر جهاز المناعة فيه ، من كريات الدم البيض والأجسام المضادة ، فتلتهم الكريات البيض الجسمَ الغريب ثم تفرز عليه خمائر تحطمه ثم تطرد بقاياه ، وتُبطل الأجسام المضادة أذى الجسم الغريب بالإتحاد معه أو بالإلتصاق به أو بتذويبه أو بترسيبه . وإن خاصية الجسم البشري هذه في رفض كل جسم غريب يقتحمه ، أجبرت الأطباء ، الذين يزرعون للمرضى أعضاءً بشريةً كالقلب والكلية ، على تثبيط جهاز مناعة الجسم . . بالعقاقير ، سنوات طويلة ، يروِّضون خلالها الجسم البشري على قبول العضو المزروع وعدم رفضه!

أفلا يسألون أنفسهم ، وهم يرون بين أيديهم عجائب القدرة الإلهية في خلق الإنسان ، كيف لا يستنفر جسم

الأمّ جهاز المناعة فيه ، وكيف يأبى أن يهاجم النطاف وأن يحضّ الرحم على طرد الجنين والمشيمة ، وكلها فيه أجسام غريبة؟!

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عليْها وهُم عنْها مُعْرِضُون﴾ [يوسف : ١٠٥] .

فخلقنا العلقة مضغة

تميزت العلقة إذن إلى طبقة سطحية وطبقة باطنية . ثم نشبت خلايا الطبقة السطحية في جدار الرحم وانغرزت فيه ، لتضمن للعلقة علوقها إلى الجدار ، ولتجلب لها الغذاء عبر زغابات تتطور فيما بعد إلى مشيمة .

وإذا بيد القدرة الإلهية تمتد إلى الطبقة الباطنية في العلقة ، فيخلق الله منها الجنين وأغشيته ـ مضغة مخلّقة ، وتمتد إلى الطبقة السطحية من العلقة فيُنشىء اللّه منها المشيمة ـ مضغة غير مخلّقة ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[الحج : ٥] .

ثم تمتد يد القدرة الإلهية إلى المضغة المخلّقة

● مضغة مخلّقة وغير مخلّقة

فتجعلها على هيئة قرص من ثلاث وريقات مختلفة : خارجية - **Ectoderm** ووسطى - **Mesoderm** وباطنية - **Endoderm** .

ولقد تروعك صورة المضغة في بداية عهدها ، إذ تتأملها ، فإذا هي قطعة من اللحم كأن أسناناً انغرزت فيها ولاكتها ثم قذفتها!

● المضغة بعد ٨ أيام من الإخصاب

وتظل هذه المضغة ، حتى نهاية الأسبوع الرابع ، بلا سمة بشرية ولا هيئة ، لا يتميز فيها عضو ولا جهاز . ثم يشاهَدُ فيها في الأسبوع الرابع شق يُطوى فيه أنبوب عصبي ينمو ليغدو فيما بعد الحبلَ الشوكي والدماغ ، بينما يبدو الطرف الآخر من المضغة على هيئة ذنب مروّس!

ثم يحتار العقل البشري ويذهل ، بما تصنع يد القدرة الإلهية في تلك الوريقات الثلاث ، من الإبداع والقدرة

● المضغة في بداية التشكّل البشري

والحكمة ، إذ تنشىء منها ، منذ الأسبوع الخامس ، أعضاءَ الجسم وأجهزتَه المختلفة ، لتغدو هذه المضغة المخلقة ، في نهاية الشهر الثالث من الحمل ، جنيناً مكتمل التخلق!

﴿هذا خَلْقُ اللّه فأروني ماذا خَلَقَ الّذينَ مِنْ دُونه﴾ [لقمان : ١١] .

﴿أفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أفلا تَذَكّرون﴾ [النحل : ١٧] .

● جنين مكتمل التخلق عمره ٣ أشهر

وما تكاد المضغة تبلغ من العمر ٥ أسابيع ، منذ بداية الإخصاب ، بينما طولها ما يزال نحو سنتيمتر واحد فحسب ، حتى تتاح للأطباء مشاهدتُها ، نقطةً لامعةً ، على جهاز الموجات فوق الصوتية ، ثم تغدو الصورة في الأسبوع السادس جليّة لأعينهم ، ويشاهَدُ القلبُ حينئذ وهو يخفق بسرعة!

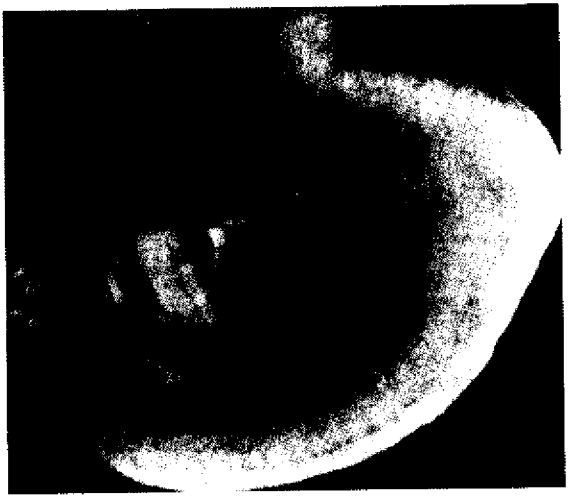

● مضغة عمرها ٥ أسابيع وطولها سنتيمتر واحد

أفلا يسألون أنفسهم ، وهم يبصرون بين أيديهم خلق الإنسان ، كيف يمكن لخلايا المضغة ـ **Embryoblast** المتماثلة تماماً أن تمنح ثلاث وريقات مختلفة عن بعضها البعض (الوريقة الخارجية والوسطى والباطنية) ، بينما العلم يؤكد أن الخلية الحية عندما تنقسم تمنح خليتين متماثلتين تماماً في البناء والخصائص والوظائف؟!

يحدّقون في الوريقات الثلاث بأعينهم ، يستقرئونها

مرة بعد مرة ، وكأنهم لا يصدقون!

ثم تغشاهم الحيرة من جديد ، إذ يبصرون بين أيديهم الخلايا المتماثلة تماماً في كل وريقة ، وهي تمنح أجهزة مختلفة عنها في بنائها وخصائصها ووظائفها . .

فالوريقة الخارجية تنشىء الجهازَ العصبي وبشرة الجلد وما فيه من شعر وأظافر وغدد عرقية ودهنية ، والوريقة الوسطى تنشىء القلب والدم والأوعية الدموية واللمفاوية والعظام والعضلات والجهاز البولي والتناسلي وبعض الغدد الصماء ، والوريقة الباطنية تنشىء جهاز التنفس وجهاز الهضم وبعض الغدد الصماء!

لن ينجيهم من حيرتهم التي تفترس وجدانهم أبداً ، إلاّ أن يؤمنوا بأن هذا كله لا يمكن إلاّ أن يكون ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ٨٨] .

يقول العلماء :

إن عظام الأطراف العلوية والأطراف السفلية تظهر بجلاء في الأسبوع السادس من الحمل . وإن أول علامة على ظهور عضلات الأطراف تبدو في الأسبوع السابع .

أرأيت إلى الآية الكريمة ٢٥٩ من سورة البقرة ﴿**وانْظُرْ إلى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمَاً**﴾؟

أنّى لمحمد بن عبد الله ، معرفةُ علم الأجنة ، حتى تُكْشَفَ له الحقيقةُالعلمية الراسخة بأن العظام تخلق أولاً ثم يخلق اللحم (العضلات) فيكسوها؟!

لن ينقذهم من ريبهم الذي يتقلبون فيه ، إلاّ أن يؤمنوا بأن هذا القرآن ، ما هو إلا كلمات تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم عمن خلق الخلق فأبدع!

ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فتبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

لو يتدبر هذا الإنسان ، لأبصر أية عجيبة في خلقه من نطفة ضعيفة ، تمتد لها يد القدرة الإلهية وترعاها ، فإذا هي علقة فمضغة فعظام تكسى باللحم ، وتُسوّى وتُصوَّر .

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُم في الأَرْحَامِ كَيفَ يَشاءُ﴾ [آل عمران : ٦] .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُم﴾ [الأعراف : ١١] .

﴿وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم وَإِليهِ المَصِيرُ﴾

[التغابن : ٣] .

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار : ٦ ـ ٨] .

ثم إذا هي تغدو في نهاية الشهر الثالث ، بالنفخة الربانية خلقاً آخر . . إنساناً ذا خصائص متميزة ، ترقى به إلى مستوى لا يبلغه ولا يقدر عليه إلاّ أحسن الخالقين!

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [السجدة : ٨ ـ ٩] .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء : ٨٥] .

في ظلمات ثلاث

﴿يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ [الزمر: ٦].

حَسْبُ المتأمل، من الإعجاز في هذه الآية الكريمة، أن يقف بدهشة وخشوع، عند العبارة القرآنية ﴿يَخْلُقُكُم في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقاً مِنْ بَعدِ خَلْقٍ﴾.

فأنّى لمحمد بن عبد الله، قبل أربعة عشر قرناً، معرفة علم الأجنة، حتى تكشف له هذه الحقيقة العلمية الراسخة، بأن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة، في بطون الأمهات.. من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام فالعضلات إلى الخلق الذي تتميز فيه عناصر البشرية؟!

بل هي كلمات ، تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم عمن خلق الخلق فأبدع!

* * *

أما الظلمات الثلاث ، فقد اجتهد حول المقصود بها علماء كثيرون ، ولعلها ، والله أعلم بمراده من كلماته :

١ ـ ظلمة تلك الأغشية (غشاء الأمنيون وغشاء الكوريون والغشاء الساقط) التي تتكىء على بطانة الرحم وتحيط بالجنين .

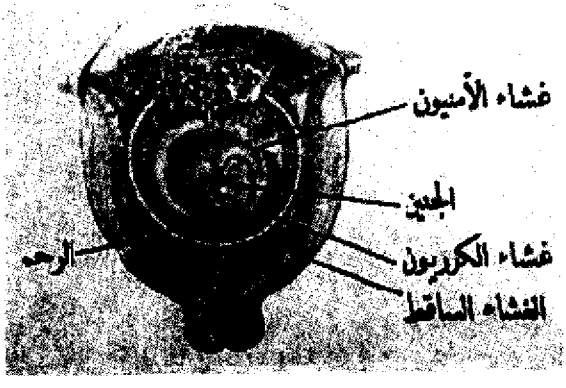

● الأغشية المحيطة بالجنين

ـ أما (غشاء الأمنيون ـ **Amnion**) فيحيط بالجنين مباشرة ويمتلىء بسائل يفرزه ثم يمتصه ليتجدد باستمرار . ولقد يبلغ حجم هذا السائل في الشهر السابع لتراً ونصف اللتر ثم يتناقص حتى يغدو لتراً واحداً قبيل الولادة . وإنك لن تعجز أن تبصر ما في هذا السائل من إبداع ، وإنه لن يستعصي عليك أن تدرك ما فيه من حكمه! فهو يغذي الجنين بما فيه من مواد بروتينية ومواد سكرية وأملاح معدنية ، ويتيح للجنين الحركة داخل الرحم فإذا الجنين يتقلب ويمرح يمنة ويسرة ورأساً على عقب ، ويقي الجنين من الصدمات المفاجئة التي قد تعرض للأم أثناء الحمل ، ويمنع غشاءَ الأمنيون أن يلتصق بالجنين مما قد يؤدي إلى التشوهات الخلقية ، ثم إنه يوسع فوهة عنق الرحم بما يعرف بجيب المياه الذي ينبثق قبيل الولادة .

ـ أما (غشاء الكوريون ـ **Chorion**) أو الغشاء المشيمي فهو يلي غشاء الأمنيون ، ويتكون بعد تكون النطفة الأمشاج ، وتنمو فيه خملات تمتص الغذاء والأكسجين ومواد المناعة للجنين وتخلص الجنين من الفضلات الضارة

والمخلفات الزائدة عن حاجته .

- وأما (الغشاء الساقط - **Decidua**) ، فهو ثالث الأغشية المحيطة بالجنين ، ويتكون من الغشاء المخاطي الذي يبطن الرحم . وإنك لتذهل من عجائب يد القدرة الإلهية وهي تمتد إلى هذا الغشاء فتعدّه قبيل خروج البويضة من المبيض ، فينمو استعداداً لاستقبال البويضة الملقحة ، ثم تزيد ثخانته أثناء الحمل أضعافاً مضاعفة ، ويزداد ما فيه من الغدد والأوعية الدموية .

فإذا لم تحمل المرأة ، فإن هذا الغشاء الساقط يسقط مع دم الحيض ، وإذا حملت فإنه يسقط مع دم النفاس مصاحباً لغشاء الأمنيون وغشاء الكوريون .

٢ - ظلمة الرحم الذي تستقر فيه تلك الأغشية .

٣ - ظلمة البطن الذي تستقر فيه الرحم .

وما خفي عني من مراد الله بكلماته ، فالله به أعلم!

نحن نرزقهم

حَسْبُ المتأمل ، في خلق الجنين ، أن يرى من الإبداع ما هيأت يد القدرة الإلهية من رزق للجنين ، يأتيه رغداً في كل طور من أطوار حياته ، مما يضمن له الحياة ونفاذ القدَر الذي قرره الحق جل جلاله!

تتغذى البويضة الملقحة ، أثناء رحلتها من بوق (قناة الرحم) إلى الرحم ، على ما اختزن فيها من غذاء!

أهي الصدفة جعلت البويضة الملقحة . . النطفة الأمشاج بعد وصولها إلى الرحم ، أم هو الله ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه : ٥٠] جعلها تقترب حتى تلامس بطانة الرحم ، ثم تفرز خلاياها السطحية التي أطلق العلماء عليها اسم (الخلايا المغذية ـ **Trophoblast**) خمائرَ

أودعتها يد القدرة الإلهية لهذه اللحظات ، تدمر وتذيب في موضع الملامسة خلايا بطانة الرحم ، وتمتص ذوبَ تلك الخلايا وما فيه من غذاء ، وتُنْشِب في بطانة الرحم زغابات تمدها من خلاياها السطحية ، تساعدها على العلوق في جدار الرحم؟!

ومن الذي يلهم (العلقة) سوى الله ﴿الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى . والَّذي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى : ٢ ـ ٣] أن تمدّ زغابات أخرى من خلاياها السطحية ، في جدار الرحم ، طلباً للغذاء ، حتى تصل إلى الأوعية الدموية في جدار الرحم ، فتفتحها ، فإذا بِرَكٌ تمتلىء بدم الأم تنشأ حول تلك الزغابات ، وإذا الزغابات تنمو حتى تغدو (خملات) ذات شعيرات دموية تسبح في تلك البرك ، وإذا هي المشيمة تنشأ ، ثم تنمو حتى تغدو في نهاية الحمل ذات قطر من ١٦ ـ ٢٠ سنتيمتراً ووزن يقارب ٥٠٠ غرام ، وإذا هي ذات وجهين . . وجه أملس من جهة الجنين تبدو فيه الأوعية الدموية ، ووجه خشن من جهة الرحم مكون من حوالي ٢٠ فصّاً ، وإذا حبل سُرّي طوله ٥٠ سنتيمتراً ينطلق من منتصفها من جهة الجنين ويصل بين المشيمة والجنين

عند السرّة ، ويمتد فيه شريانان ووريد واحد ، وإذا الدم من الجنين يغدو عبر شريان الحبل السرّي إلى خملات المشيمة ، حيث تُقْذَفُ ، عبر غشاء الخملات ، الفضلات الضارة والمخلفات الزائدة عن حاجة الجنين في دم الأم المتجمع في الجزر ، ثم تمتص الخملاتُ الموادَ الغذائية والأكسجين ومواد المناعة ضد الأمراض والأوبئة ، لتنطلق إلى الجنين عبر وريد الحبل السّري؟!

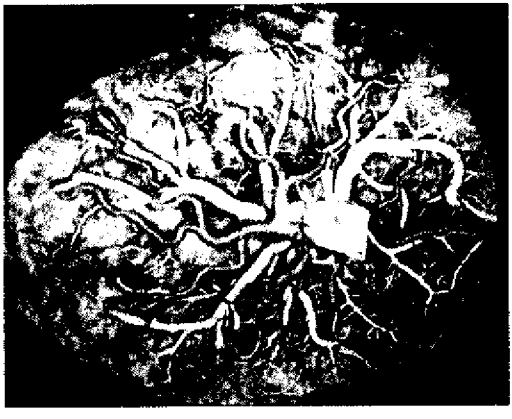

● المشيمة من جهة الجنين

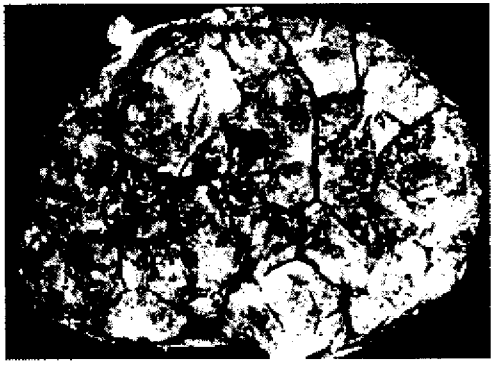

● المشيمة من جهة الرحم

من أين لهذه الخملات هذا التمييز الدقيق ، إذ تقذف من دم الجنين ما يضره وتمتص للجنين ما ينفعه؟!

أهي الصدفة تفعل كل هذا؟!

أم هو الله ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه : ٥٠] أودع الخملات هذا التمييز الذي لا يخطىء؟!

فإذا المشيمة تؤدي للجنين وظيفة جهاز الهضم وجهاز التنفس والجهاز البولي ، وإذا هي فوق ذلك تفرز من الهورمونات اللازمة لاستمرار الحمل ما يهدىء الرحم ويمنع فيها التقلصات العنيفة وما يُعدّ الثديين لإفراز اللبن

والرضاعة!

ثم هم يقولون صدفة!

ولو أنصفوا لأبصروا الحكمة ، بين أيديهم ، أينما التمسوها!

ولو أنصفوا لعجزوا أن يدركوا أي تفسير لنشأة المشيمة دائماً إما على الجدارالأمامي أو على الجدار الخلفي لجسم الرحم ، وهي تعلو عن عنق الرحم مسافة مناسبة ، إلاّ أن يكون ذلك من صنع يد مبدعة حكيمة ، تستوقف المتأمل في دهشة وخشوع!

أرأيت لو أن المشيمة نشأت في موضع منخفض من الرحم يسبق الجنين ، إذن لأغلقت مدخل الحوض كله أو بعضه ، أمام الجنين ، ولغدت الولادة عسيرة أو مستحيلة لا تتم إلاّ بالجراحة!

ولقد ينسلخ جزء من المشيمة ، بتقلصات الجزء السفلي من الرحم أثناء المخاض والولادة ، فيؤدي ذلك إلى النزيف الذي قد يودي بحياة الأم وربما يذهب الاختناق بحياة الجنين!

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان : ٢] .

* * *

لو يتدبر الإنسان لرأى كم في نفسه من آية ما تنفك تدعوه ليبصر ، ولأدرك كم أوتي من آلاء ما تفتأ تدعوه ليشكر!

أم يحسب الإنسان أنما خلق عبثاً ، يمضي العمر كله من متاع إلى متاع ، ثم لا يُردُّ إلى الله ليسأله عما أوتي من آلاء؟!

فيم إذن خُلق الإنسان ، إن لم ينجز فطرة ربه فيه؟!

وفيم إذن أوتي ما أوتي من آلاء ، إن لم تكن وسيلة إلى مرضاة الله ، ولم تؤد إلى إدراك الغاية الكبرى التي من أجلها خلق الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات : ٥٦]؟!

ويا رُبَّ لحظات عند ربك يوم القيامة ، تطوي بين

ثناياها من الغبطة والنعيم ما يفوق لذة العمر كله ، لو كانوا يعلمون!

الفصل الثالث

في قرار مكين

في قرار مكين

وتظل آيات الله تتجلى ، أينما التُمِست في الأرحام ، وتملأ النفس دهشة وخشوعاً!

تتجلى في حوض المرأة . .

فأية قدرة إلهية مبدعة حكيمة تلك التي قضت أن تودع الرحم ، مهدَ الحياة البشرية ، في حصن منيع ذي جدر عظمية متينة . . من عظم العجز وعظم العصعص في الخلف ومن عظمي الحرقفة في الجانبين والأمام حيث يلتحمان معاً في عظم العانة ، فإذا الحوض يحفظ الرحم وقناتيْ الرحم والمبيضين ، وإذا هو يقيها الصدمات؟!

ثم تمتد تلك القدرة الإلهية إلى حوض المرأة ، فتنسق حجمه وشكله ، كي يلائم نمو الجنين أثناء الحمل ، وكي

يتيح له فيما بعد ولادة سهلة!

فإذا تجويف حوض المرأة متسع وقصير ، بينما تجويف حوض الرجل أضيق وأعمق!

وإذا مدخل الحوض في المرأة بيضوي متسع ، بينما هو في الرجل ضيق يكاد يكون مثلث الشكل!

وإذا مخرج الحوض في المرأة عند عظم العانة منفرج الزاوية متسع ، بينما هو في الرجل حاد الزاوية ضيق!

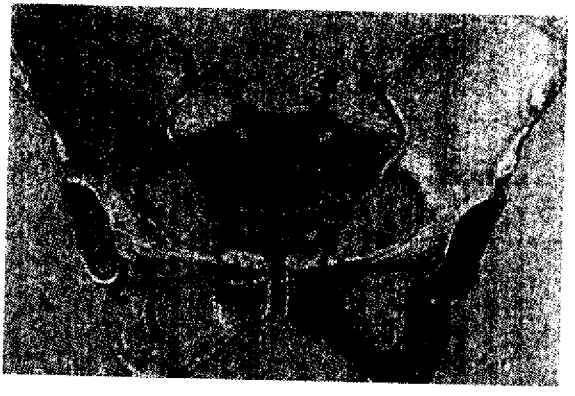

● حوض المرأة

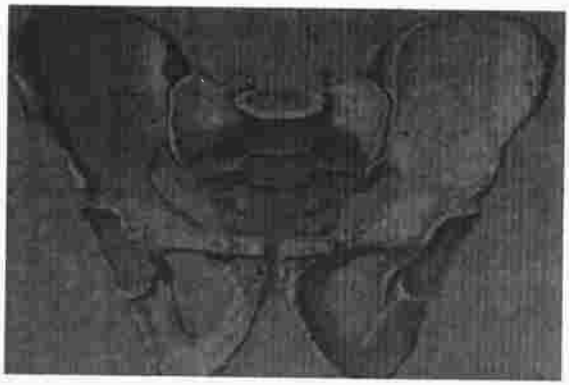

● حوض الرجل

وإذا عظام الحوض في المرأة تتجلى فيها الرقة والنعومة!

﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

حسبك أن تعلم، لتدرك روعة الإبداع في حوض المرأة، بأن قُطْر مدخل الحوض إذا ضاق سنتيمترات قليلة قد لا تصل الثلاث، فإن الولادة لن تكون يسيرة، وقد يتخطف الموت الجنين والأم، إن لم تدركهما رحمة من الله فتمد لهما يد طبيب، يخرج الجنين من الرحم بالعملية

القيصرية (استخراج الجنين من أحشاء أمه بالجراحة)!

* * *

تأمل تلك الأفانين من عجائب القدرة الإلهية في تثبيت الرحم ، على هيئة هرم مقلوب قاعدته في الأعلى وقمته في الأسفل مع انحناءة خفيفة نحو الأمام ، بواسطة أربطة مرنة ، تشدّ الرحم من الأمام والخلف والجانبين والأعلى والأسفل ، وتمسك الرحم أن تنقلب إلى الخلف أو إلى الأمام وأن تهبط إلى الأسفل ، كما تساند هذه الأربطةَ في تثبيت الرحم وحمايتها عضلاتُ الحوض والعجان والبطن وبعض الأعضاء في تجويف الحوض كالمثانة والمستقيم . . فإذا الرحم مثبتة كأنها جسر معلق مرن ، على هيئة تتيح لها الحركة وتلائم الحمل والولادة!

أرأيت لو أن الرحم انقلبت من مكانها إلى الخلف ، إذن لسُدَّت الطريق أمام النطاف المنطلقة إلى الرحم ، في طريقها إلى البويضة ، ولغدت المرأة عقيماً!

ولو أن الرحم انقلبت ، أثناء الحمل ، إذن لأجهضت المرأة ولسقط الجنين!

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ [النمل : ٨٨] .

* * *

أفلا ينظرون إلى (حويصلة غراف) التي تضم البويضة الناضجة في المبيض ، كيف تتحول إلى (الجسم الأصفر) ـ بعد أن تنفجر وتقذف البويضة إلى بوق قناة الرحم حيث تُخصَب ثم تنطلق إلى الرحم وتنغرس فيه ـ ثم تبدأ بإفراز (هورمون البروجسترون) ، حتى تنشأ المشيمة فيما بعد ، فيضمر ويتلاشى ، وتمضي المشيمة في إفراز (هورمون البروجسترون) حتى نهاية الحمل ، ليكبح هذا الهورمون تقلصات الرحم العنيفة ، فإذا الرحم تهدأ ، وإذا هي تطوي جوانبها بحنان ورقّة على ما فيها من نطفة أمشاج حتى تغدو علقة فمضغة فجنيناً يخرج للدنيا بشراً سوياً!

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات : ٢٠ ـ ٢١] .

صور من الإبداع والحكمة ، يذهل لها المتأمل!

ثم هم يطلبون الدليل!

ولو أنصفوا ، لأبصروا الدليل بين أيديهم ، أينما

التمسوه!

ولو أنصفوا لناجى أحدهم نفسه : كيف يكون هذا كله صدفة وخبط عشواء؟!

ثم لخالجه اليقين بأن هذا كله لا يمكن إلاّ أن يكون من صنع يد مهيمنة قادرة حكيمة!

* * *

كيف لا تبهرهم عظمة يد القدرة الإلهية ، في خلق الرحم ، وهم يرون وزنها في الفتاة ٥٠ غراماً تقريباً ، ويرون حجم تجويفها لا يجاوز ٢,٥ من السنتيمترات المكعبة فحسب؟!

فإذا تزوجت الفتاة ، وقُدِّر لها أن تحمل ، فإن الرحم تظل محصنة في الحوض ، في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل ، التي يتخلق فيها الجنين .

حتى إذا تخلقت أعضاء الجنين ، ولم يبق سوى أن يزداد الجنين في الوزن ويكبر في الحجم ، برزت الرحم من الحوض إلى البطن ، في نهاية الشهر الثالث من الحمل ،

ووصلت السرّة في نهاية الشهر الخامس ، وأشرفت على عظم القصّ في الشهر التاسع ، حتى يغدو حجم تجويف الرحم في نهاية فترة الحمل ٧ آلاف سنتيمتر مكعب ، أي أكبر من ذي قبل بثلاثة آلاف ضعف!

فإذا الجنين ، في الأشهر الثلاثة الأولى ، محصن في الحوض ، تحميه عظام الحوض وعضلات جدار الرحم ، ويذود عنه السائل الأمنيوني الصدمات!

وإذا عضلات بطن الأم ، حين يبرز الجنين من الحوض إلى البطن ، تقيه الأذى!

وإذا النطفة الأمشاج تنمو في قرار مكين ، حتى تستوي خلقاً سوياً سميعاً بصيراً!

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون : ١٢ ـ ١٣] .

* * *

تناديهم آيات ربهم ، أينما التمسوها ، في أنفسهم!

فما بال الإنسان يفرّ من هدى ربه ، وينأى بنفسه عمّا استودع فيه من فطرة ، فإذا هو حائر الخطى مضيّع الفؤاد؟!

الفصل الرابع

إلى قدرٍ معلوم

إلى قدر معلوم

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ . فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ﴾ [المرسلات : ٢٠ ـ ٢٣] .

تروعك الآيات من عجائب القدرة الإلهية وأنت تراها مبثوثة أمام عينيك ، أينما التمستها في الجنين ، فتهتف ، بدهشة وخشوع : سبحان الله!

* * *

فأية قدرة عجيبة ، تلك التي امتدت إلى الجنين ، فسوّته ، ثم جعلته يستقر في الرحم ، إلى أجل مرسوم . . أربعين أسبوعاً ، أي ما يقارب عشرة أشهر قمرية أو تسعة

أشهر شمسية ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الحج : ٥]؟!

يقول العلماء :

- إذا جاوز الحمل أجله ، وزاد عن ٤٢ أسبوعاً ، سمي بالحمل المديد . وإن المشيمة في الحمل المديد ، ما تلبث أن تهرم وتعجز عن تزويد الجنين بما يسد حاجته من الأكسجين . وحَسْبُ الحمل المديد من الأذى أن الولادة فيه لن تكون يسيرة لضخامة رأس الجنين .

ثم يضيف العلماء :

- أما إذا لم يستوف الحمل أجله ، ونقص عن ٣٨ أسبوعاً ، فإن الوليد يعدّ خديجاً ، ويغدو هدفاً للإنتانات الجرثومية ، لقلة مقاومته ونقص مناعته ، وقد يهلك إذا لم يتلقّ عناية خاصة!

فهل كان عبثاً ، بدون هدف يبتغى ولا غاية تراد ، بقاءُ الجنين في الرحم ، أربعين أسبوعاً ، أم كان إعجاز يد إلهية قادرة حكيمة ، قدّرت فترة الحمل ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [المرسلات : ٢٢] ، ليستوي فيها الجنين خلقاً سوياً ثم ينطلق

بعدها إلى الحياة ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ﴾ [المرسلات : ٢٣]؟!

* * *

ما برح الجنين يطوي بين جنبيه الصغيرين أسراراً شتى من عجائب القدرة الإلهية!

احتار العلماء ، فيما مضى ، في الرحم كيف تضم جنبيها على الجنين تسعة أشهر شمسية كاملة ، حتى إذا انقضت ، تفجر المخاض ، فجأة ، في الرحم ، وولد الجنين!

اعتقد العلماء ، بأن الغدة النخامية في المخ تفرز عادة (هورمون أوكسيتوسين ـ **Oxytocin**) المثير لتقلصات عضلات الرحم . فإذا حملت المرأة ، فإن المشيمة تفرز (هورمون بروجسترون ـ **Progesteron**) ليكبح تأثير هورمون الغدة النخامية ، فتهدأ الرحم!

فمن الذي يلهم هذا التوازن الهورموني الذي يحفظ استقرار الجنين أن ينقلب ، فجأة ، حين ينقضي الأجل المرسوم ويحين موعد الولادة ، فينقص (هورمون بروجسترون) ويثير (هورمون أوكسيتوسين) ، عضلات الرحم ، فينشأ

المخاض ، والولادة؟!

أهي الصدفة تفعل كل هذا؟!

أم هو الله ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه : ٥٠] ، أودع الرحم هذه السنة ، فلا تحيد عنها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح : ٢٣] .

* * *

أرأيت إلى الآية الكريمة ١٥ من سورة الأحقاف ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثونَ شَهْراً﴾ وإلى الآية الكريمة ٢٣٣ من سورة البقرة ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾؟!

أنّى لمحمد بن عبد الله ، قبل أربعة عشر قرناً ، معرفة علم الأجنة ، حتى تكشف له الحقيقة العلمية الراسخة بأن أقل مدة من الحمل تهب الوليد أدنى فرصة للبقاء حيّاً هي ستة أشهر ، تعدّ الولادة قبلها إسقاطاً ليس للوليد فيها أي نصيب من الحياة؟!

بل هي كلمات ، تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم عمن خلق الخلق فأبدع!

* * *

فمتى يؤوب الإنسان إلى هدى ربه ، فيستيقظ قلبه من غفلة المتاع؟!

ومتى يُبقي الإنسان فطرته موصولة بالسماء ، فإذا هو يحيا في مرضاة الله ، وإذا هو يتخذ لنفسه طريقاً إلى الله ، ويمضي صعداً إلى الدار الآخرة؟!

أم ينتظر الإنسان ساعة يؤتى به ، عنوة ، ليحاسب؟!

فإذا قلبه يكاد ينخلع بين جنبيه من الهلع ، حين يُنشر كتابه بين يديه ، ثم يقال له : ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ [الإسراء : ١٤] .

وإذا هو يدعو ، ويدعو!

ولكن هيهات!

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُم وَلا هُم يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

الفصل الخامس

ثم نخرجكم طفلاً

ثم نخرجكم طفلاً

﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج : ٥] .

ما يكاد المتأمل في خلق الإنسان يفيق من ذهوله في عجيبة من عجائب القدرة الإلهية ، حتى يأخذه الذهول من جديد في عجيبة أخرى!

وأية عجيبة أغرب من هذه النطفة التي تراق ، فتمتد لها يد القدرة الإلهية ، فتودعها في قرار مكين ، إلى أجل مسمى ، وترعاها ، فإذا هي تستوي بشراً تحسّ به الأم يتحرك في أحشائها حين يبلغ من العمر ١٨ ـ ٢٠ أسبوعاً ، بعد رحلة مفعمة بالتعقيد والإبداع والقدرة والحكمة ومحكمات السنن التي لا تتبدل ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

﴿تَبْدِيلاً﴾ [الفتح : ٢٣] ، وإذا يد القدرة الإلهية تهيىء لهذا البشر ولادة كل ما فيها قدرة وإعجاز!

وأية قدرة مبدعة ، تلك التي تجعل التوازن الهورموني الذي يحفظ استقرار الجنين ينقلب ، فجأة ، حين ينقضي الأجل المرسوم ، فيجعل الرحم التي كانت تضم جنبيها على الجنين برقّة وحنان تسعة أشهر شمسية كاملة ، تتقلص في مخاض عنيف ، حتى تخرج الجنين؟!

وأي إعجاز هذا الذي نرى في الحوض ، وقد نُسِّقت عظامُه ، على هيئة تتيح عبور الجنين بيُسْرٍ من فوهة الحوض العليا ثم خروجه بسلام من الفوهة السفلى؟!

أهي الصدفة ، أم هو الله ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه : ٥٠] يلهم الجنين أن يتخذ هيئة تتيح له العبور من الحوض ، فإذا هو يضم يديه إلى صدره ، ويضم رجليه إلى بطنه ، ثم يثني عنقه حتى تلامس ذقنُه صدرَه ، ويتقدم بمؤخرة رأسه (في ٩٥٪ من الولادات) نحو مدخل الحوض ، ويعبر؟!

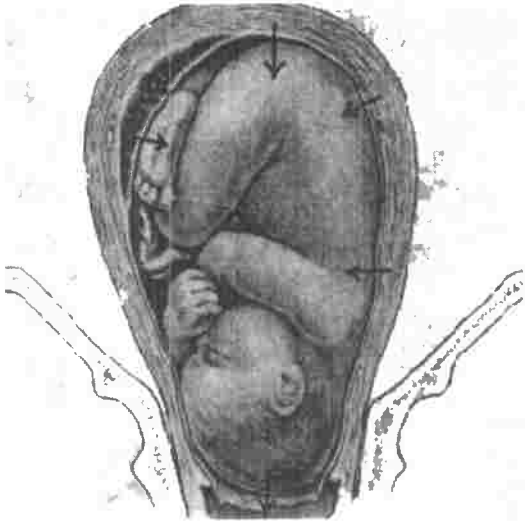

● ولادة الجنين

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس : ١٧ ـ ٢٠] .

كيف لا تبهرهم عظمة يد القدرة الإلهية ، في تقلصات عضلة الرحم وفي تطورها أثناء المخاض وبعده ، إذ تبدأ خفيفة متباعدة فتمكث ١٠ ثوان تقريباً ثم تختفي وتعود مرة أخرى بعد ٣٠ دقيقة ، ثم تشتد تدريجياً وتتقارب

فتمكث دقيقة واحدة تستريح الولاّدة بعدها ٣ دقائق ثم يعاودها المخاض من جديد؟!

وفي كل مرة ، يبدأ المخاض في قعر الرحم ، ثم ينتشر إلى الجسم فالعنق ، ويشتد في القعر ، ويخفّ عند العنق!

فإذا عنق الرحم المغلقة تتسع ، مع كل انقباض حتى تفتح كلياً فتصل إلى ١٠ سنتيمترات ، وتغدو ممهدة لعبور الجنين!

وإذا الرحم ، مع كل انقباض في المخاض ، تدفع الجنين إلى أسفل ، نحو العنق المتوسعة ، حتى تتم الولادة!

أرأيت لو أن هذه التقلصات الشديدة ، أثناء المخاض ، مكثت طويلاً ، دون أن تعقبها فترات استراحة ، إذن لقُتِل الجنين من الضغط الشديد عليه ، ولأبطأ جريان الدم أو انحبس في المشيمة التي يتزود منها الجنين بالأكسجين والغذاء ، فهلك!

ولسوف يروعك ساعة المخاض ما ترى من الغدة الكظرية (غدة فوق الكلية) في الجنين ، إذ تفرز كميات

كبرى من (هورمون الأدرينالين وهورمون النورادرينالين) اللذين يزيدان نبضات القلب وقدرة القلب على ضخ الدم ويرفعان نسبة السكر ، من أجل تغذية الدماغ الحساس للأكسجين والسكر!

وإنك لن تملك نفسك من الذهول حين تعلم قول العلماء من أن هذه الغدة الكظرية لا تفرز كميات كبرى من هذه الهورمونات في أية مرحلة أخرى من العمر!

ثم إنك لن تملك نفسك من أن تهتف : سبحان الله!

أرأيت لو أن التقلصات الشديدة في عضلة الرحم استمرت ، على هيئتها ، بعد أن يولد الجنين وتسقط المشيمة ، إذن لتفجر النزيف من بطانة الرحم في المكان الذي انسلخت منه المشيمة ، ولأودى بحياة الأم خلال دقائق معدودات!

تأمل تلك الأفانين من عجائب الإبداع الإلهي ، في خلق عضلة الرحم ، لمنع هذا النزيف بعد الولادة . فقد امتدت يد القدرة الإلهية إلى عضلة الرحم ، فنسجتها على

هيئة شبكة ، كل جزء فيها على هيئة الرقم «8» ، فإذا ولد الجنين وسقطت المشيمة ، انقبضت الرحم ، بأمر تتلقاه من الغدة النخامية في المخ ، انقباضاً واحداً شديداً مستمراً ، حتى تغدو كأنها كتلة صلدة ، فإذا بألياف عضلة الرحم في كل حلقة من حلقات تلك الشبكة تنكمش وتضغط على الشرايين والأوردة المتهتكة التي تمر عبرها ، فتغلقها ، وتمنع النزيف!

﴿هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان : ١١] .

* * *

صور لا تنتهي ، من الإبداع والحكمة ، يذهل لها المتأمل!

فهل يتأمل الإنسان نفسه ، فإذا له فيها آية تهديه ، فلا يتخبط في الظلمة والحيرة؟!

أم تضيع الآيات سدى؟!

ويظل الإنسان يشيح بوجهه عن الهدى ، وينأى بخطاه عن سواء السبيل؟!

الفصل السادس

والوالدات يُرضعن أولادهن..

والوالدات يُرضعن أولادهنّ..

ما تنفك الآيات من عجائب القدرة الإلهية في خلق الإنسان في الأرحام ثم في مولده يوم يولد وبعد مولده .. تترى!

يُقْبِل الوليد على الدنيا ..

وما تكاد أمه تضمه إلى صدرها ، بعد سويعات ، حتى يطبق فمه على ثديها ، فإذا الثدي يفيض لبناً زكي الرائحة حلو المذاق نقياً دافئاً طازجاً سهل الوِردْ بلا ثمن ، ينهل منه الوليد أنّى يشاء!

* * *

هل طاف بخلدهم يوماً هذا المشهد للجنين ، وقد أجلس نفسه في رحم أمه ، ثم مضى يمصّ أصبعه؟!

لو أنهم يتوقفون لحظة ، فيسألون أنفسهم أيتمُّ هذا صدفة؟!

أم أن الذي خلق الجنين ألهمه أن يروض نفسه على تعلم الرضاعة؟!

● صورة رائعة لجنين يمص أصبعه

﴿بَلْ عجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ . وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾ [الصافات : ١٢ ـ ١٣] .

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمواتِ والأرضِ يَمرّونَ عليها وهُم عنها مُعرضون﴾ [يوسف : ١٠٥] .

وكيف لا يدهشهم الوليد ، وقد وُضع على بطن أمه ، بعيداً عن الثدي ، فإذا هو يحدّق في جسم أمه ، وإذا هو خلال نصف ساعة يحدد موضع الثديين ، ثم يمضي يجاهد ويجاهد ، حتى يصل إلى ثدي أمه ، ويرضع؟!

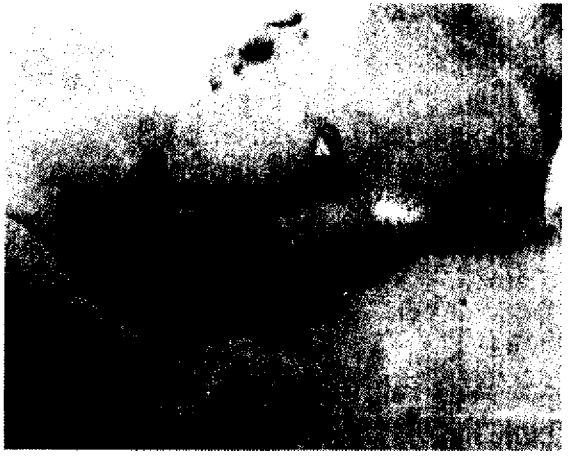

● وليد يسعى إلى ثدي أمه

ينمو الثديان عند المرأة في فترة البلوغ ، حتى يغدو الثدي كتلة من الدهن وفصوصاً غدّية تبلغ العشرين أو نحو ذلك ، يُصنَع فيها اللبن ، ثم يُنقَل بقنوات إلى حلمة الثدي وفم الرضيع ، فينهل!

ولعل الله سبحانه قد أنشأ ثدي الأم من فصوص عديدة ، حتى إذا أدركتْ بعضَ الفصوص علّةٌ ، فأخفقتْ في صنع اللبن ، كان فيما بقي من الفصوص عِوض ، فلا يغيض النبع الصافي ، ولا يظمأ الرضيع أو يجوع!

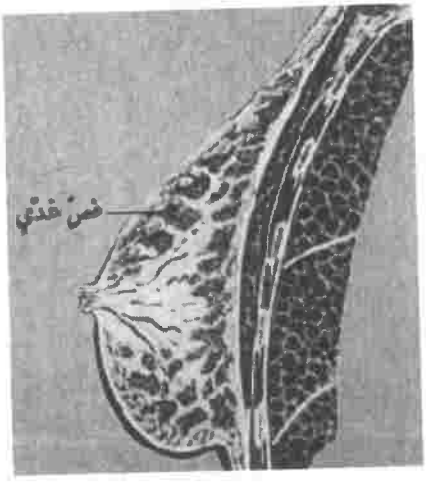

● فصوص الثدي

وكيف يغيض النبع ، وقد سوّاه الله ، فكان ﴿صُنْعَ اللّهِ الّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ [النمل : ٨٨]؟!

بَيْدَ أن غدد اللبن وقنواته ودهن الثدي تتضخم أثناء الحمل ، حين تبدأ هورمونات المشيمة منذ الشهر الثاني تُعِدُّ الثدي للرضاعة .

وتمنع هورموناتُ المشيمة أثناء الحمل الغدةَ النخامية في المخ من إفراز هورمون (بروﻻكتين) ، الذي يُدِرُّ في الثدي اللبن .

فإذا ولَدَت المرأة ، وسقطت المشيمة ، أفرزت الغدة النخامية هورمون (بروﻻكتين) ، ودَرَّ اللبن في الثدي .

غير أن اللبن لا ينبجس من غدد اللبن إلى القنوات ولا يسيل من حلمة الثدي ، إلاّ إذا أقبل الرضيع على ثدي أمه لينهل!

لحظتئذ ، تحمل أعصاب الثدي إلى المخ إشارة ، فيُصدِر المخ أمراً إلى الخلايا المحيطة بغدد اللبن ، فتنقبض ، وينبجس اللبن إلى القنوات ، ثم يسيل إلى الحلمة ، فإلى فم الرضيع ، بعد بدء الرضاعة بنصف دقيقة ـ دقيقة واحدة!

أمِنْ أجل رضعات من اللبن ينهلها الرضيع فحسب ، كانت هذه الصنعة المحكمة في الثدي ، أم من أجل غاية كبرى تُفضي بالإنسان إلى رحاب الله؟! ﴿أَفَحَسِبْتُم أَنَّما خَلَقْنَاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُم إِلَينا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

* * *

هل في اختلاف خواص اللِّبَأ (اللبن الكثيف الأصفر الذي يفرزه ثدي الأمّ عقب الولادة) ، عن لبن الأمّ فيما بعد ، وهل في التناسق البديع بين تركيب اللبأ وبين حاجة الوليد ، في الأيام الأولى من العمر ، سوى آية عظيمة من آيات الله ، تُظهر بديعَ صُنْعِه ، وتبيّن عظيمَ شأنه؟!

● فاللبأ أسرع امتصاصاً من اللبن وأسهل هضماً للوليد ، لأن تركيبه الكيميائي أقرب إلى الدم منه إلى اللبن .

● واللبأ يتضمن من البروتين أكثر من لبن الأمّ ، كما يتضمن مقادير من الأملاح المعدنية والفيتامينات وخمائر الهضم ، تفوق مثيلاتها في لبن الأمّ ، ممّا يلبّي حاجة الوليد الملحّة إلى الغذاء الغني ، خلال الأيام الأولى بعد الولادة .

● واللبأ يحوي من الدهون أقلّ من لبن الأمّ ، مما يخفف عبء الهضم عن الوليد ، فلا يرهقه ، وهو لم يزل بعدُ ضعيفاً .

● واللبأ يضم من (الأجسام المضادة) أعداداً تربو على مثيلاتها في لبن الأمّ ، تمنح الوليد الحصانة ضد كثير من الأمراض ، حتى يقوى ، فيدفع عن نفسه غائلة المرض ، أو يُحصَّن باللقاح فيما بعد ضد بعض العلل!

* * *

إنه لن يستعصي عليك أن تدرك ما في اللبن والرضاعة من إبداع!

وإنك لن تعجز أن تدرك ما في اختلاف لبن الأم عن لبن البقر والغنم والماعز من حكمة!

فبينما يتضمن لبن الأمّ مقادير ملائمة للرضيع في الأشهر الأولى من العمر ، من الماء الذي يروي الرضيع فلا يظمأ ولو كان الطقس قائظاً ، ومن البروتين والدهون ، وسكر اللبن ، والأملاح المعدنية : كالحديد اللازم لتكوين الدم والكالسيوم والفسفور لنمو العظام والأسنان . . فإن لبن

الأبقار والأغنام والماعز يتضمن مقادير تفوق حاجة الرضيع من البروتين والدهون تؤدي إلى عسر الهضم ، ومقداراً أكبر مما يلزم من الأملاح المعدنية .

ولذا فإن لبن الأبقار والأغنام والماعز لا يصلح غذاء للرضيع في الأشهر الأولى من العمر إلاّ بعد إجراء تعديلات هامة على مكوناته الغذائية .

ليس هذا فحسب ، بل إن لبن الأبقار والأغنام والماعز ، لا يمنح الرضيع حصانة قوية ضد الأمراض ، كلبن الأمّ الذي يحتوي على (أجسام مضادة) تهب الرضيع الحصانة ، وتمنحه القوة على التصدي لكثير من العلل إن أدركته ، فلا تفتك به أو تشتد عليه وطأتها . ولا يزال إسهال الأطفال ، بسبب ضعف الحصانة وتلوث زجاجة الرضاعة بالجراثيم ، يغتال العديد من الأطفال من أحضان أمّهاتهم ويزرع بين جوانحهن اللوعة والأسى ، فتتفطّر حشاشات وتدمع عيون!

* * *

هل في وسع عالمٍ في الدنيا كلها ، أن يصف لنا غذاء تاماً للرضيع ، في الأشهر الأولى من العمر ، يطفح بالعافية مثل لبن الأمّ؟!

وهل في وسع امرىء في الدنيا كلها ، أن يصف لنا مشهداً يفيض بالحنان والمحبة ، أروع من مشهد أمّ تضمّ وليدها إلى صدرها ساعة الرضاعة؟!

﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

* * *

أرأيت إلى الآية ٦٦ من سورة النحل ﴿وَإِنَّ لَكُم في الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً للشَّارِبِينَ﴾ .

والفرث ما يبقى في الكرش بعد الهضم وامتصاص الأمعاء للعصارة التي يتحول جزء منها في الجسم إلى دم .

هذا الدم ينطلق إلى كل خلية في الجسم . .

حتى إذا غدا إلى غدد اللبن في الضرع ، حولته يد إلهية قادرة حكيمة إلى لبنٍ خالصٍ سائغٍ للشاربين .

وذلك ما يكون أيضاً في ثدي المرأة ، كما ثبت في العلم الحديث!

فأنّى لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأنّى للبشر كافة ، في عهد نزول القرآن ، معرفةُ هذه الحقيقة العلمية ، بهذه الدقة الكاملة؟!

أليست هذه الآية الكريمة وحدها ، وفي القرآن سواها آيات كثيرة ، برهاناً ساطعاً وحجةً دامغةً ، لكل ذي لبٍّ لا يماري في الحق ، بأن القرآن كان وحياً من عند الله ، يستوقف الإنسان ، خاشعاً لله بكل جارحة فيه؟!

﴿لَو أَنْزَلْنا هذا القُرآنَ على جَبَلٍ لَرَأَيْتَه خَاشِعاً مُتَصدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١] .

* * *

تتجلى لهم آيات ربهم ، أينما التمسوها ، في أنفسهم!

وتناديهم إلى الهدى!

آيات تستحث الإنسان لكي يوجه خطاه إلى الطريق الصاعدة إلى الآخرة ، فلا تكون الحياة عبثاً!

فهل يتأمل الإنسان نفسه ، فإذا له فيها آية تهديه؟!

أم يظل الإنسان ينأى بنفسه عما استودع فيه من فطرة ربه؟!

وتظل الغاية الكبرى التي من أجلها خُلق الإنسان مغيَّبةً عنه ، كأنما هي في غيابة جُبّ!

ويظل الإنسان سادراً في لهوه ، كأن الحياة ملهاة ، يمضي فيها من متاع إلى متاع!

وقد حسب أنه لن يردّ إلى الله ، فيسأله عما أوتي من آلاء ، ثم يجزيه بما صنع!

بلى!

﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ ابن جرير الطبري ، دار المعرفة ١٩٧٢ .

٣ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة ١٩٨٦ .

٤ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ، دار الشروق ١٩٨٢ .

٥ ـ مقال في الإنسان : دراسة قرآنية ـ الدكتورة بنت الشاطىء ، دار المعارف ١٩٦٩ .

٦ ـ الله ـ عباس العقاد ، دار الهلال ١٩٥٤ .

٧ ـ خَلْقُ الإنسان بين الطب والقرآن ـ الدكتور محمد علي

البار ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

٨ ـ روعة الخلق ـ ماجد طيفور ، الدار العربية للعلوم ١٩٩١ .

٩ ـ قاموس حتي الطبي ، ١٩٨٩ .

١٠ ـ تشريح الإنسان (باللغة اليوغوسلافية) ـ البروفيسور الدكتور ماريان بوشكوفيتش ١٩٧١ .

11- Textbook of Medical Physiology.

prof. Dr. Arthur Guyton 1966.

12- A child is born.

Lennart Nilsson and Lars Hamberger 1990.

13- Being Born.

Sheila Kitzinger and Lennart Nilsson 1989.

14- Human Embryology.

Hamilton, Boyd, Mossman 1976.

15- Medical Embryology.

Jan Langman 1975.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* كلمة للمؤلف	٥
* تقديم للأستاذ أحمد العناني	٧

القسم الأول

* هذا الإنسان العجيب	١٧
● بعض أسرار الجهاز العصبي	١٩
● هذا القلب العجيب	٢٩
● نظرة في الدم	٣٨

● الكلية وعجائب مصافيها ٤٨
● يد الله فوق أيديهم ٥٥
● كلمات عن حاسة البصر ٦٢
● رحلة في حاسة السمع ٧٣
● عجائب جلد الإنسان ٨٣
● اللسان والشفتان ٩٢
● المناعة ١٠١
● الاستنساخ . . والآفاق الملتهبة ١٠٧
● الشيفرة الجينيّة . . شاهد متألّق ١١٦

القسم الثاني

* **قصّة خَلْق الإنسان من النطفة إلى الميلاد** ١٢٧

● **الفصل الأول** ـ النطفة ١٢٩
من بين الصلب والترائب ١٣١
نطفة الرجل (الحيوان المنوي) ١٣٤

نطفة المرأة (البويضة) ١٤٢
اللقاء المنشود . . النطفة الأمشاج ١٤٦
فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ١٥٢
في الطريق إلى الرحم ١٥٧
● **الفصل الثاني** ـ وقد خلقكم أطواراً ١٦١
ثم خلقنا النطفة علقة ١٦٣
فخلقنا العلقة مضغة ١٧٠
ثم أنشأناه خلقاً آخر ١٧٨
في ظلمات ثلاث ١٨٠
نحن نرزقهم ١٨٤
● **الفصل الثالث** ـ في قرار مكين ١٩١
● **الفصل الرابع** ـ إلى قدر معلوم ٢٠١
● **الفصل الخامس** ـ ثم نخرجكم طفلاً ٢٠٩
● **الفصل السادس** ـ والوالدات يرضعن أولادهن ٢١٧

* المصادر والمراجع ٢٣١
* الفهرس ٢٣٤

المؤلف في سطور

● من مواليد بيت محسير / القدس عام ١٩٤٢م .

● درس الطب وحصل على بكالوريوس في الطب العام سنة ١٩٧٣م . ومنذ عام ١٩٧٤م يعمل في عيادته الخاصة بمدينة عمّان .

● عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين .

● عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

● له من الكتب :

١ ـ فصول من الدنيا

٢ ـ الطبّ مصابيح الإيمان

٣ ـ الطفولة مفاتيح الجنّة

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر
١٦١٩ / ١٠ / ٢٠٠٠
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٩٣٥ / ١٠ / ٢٠٠٠